

رجال الأعمال

تنشر مكتبة هانشت الباريسية مؤلفات قيمة عن رجال الأعمال تبسط مايتصل بكل منهم في ايجاز وجلاء . وقد صدر من تلك المجموعة الثمينة طائفة صالحة عن السياسى . (البوليطيقى) والسياسى (الدبلوماطيقى) والفلاح . والصانع . والمالى . والمحامى الى غير ذلك . تقدم اليوم لحضرات القراء :

رجل السياسة الداخلية

السياسى

بقلم

لويس بارتو

السياسى الفرنسى المشهور

قال في مقدمته أن السياسى رجل عمومى لا يشغل منصبا بل يؤدى مهمة . فكل كلمة وكل حركة من حركاته وكلماته لا تخلو من رقيب ناقد حتى سكوتة لا ينجيه من تأويل ، وهو لذلك غرض لآراء متضاربة وأحكام متفاوتة في الشدة واللين . على أنه مطالب على الدوام ان يقدم حسابه للجمهور . فهو وان سما مركزه وترأى للناس سعيدا فقد أحس ويحس وسيحس معانى الخيبة والالم والنحس ، لذلك تراه جديرا أن يرى له .

ثم أخذ في تعريف السياسى مبتدئا بعبارة أرسطو « ان الانسان حيوان سياسى » بمعنى أنه شديد الميل للاتلاف وأنه الوحيد من أنواع الحيوانات الذى ابنتى المدن وأقام الحكومات .

واذ كان لابد للحاكم أو السلطان من اعوان يعينونه في ادارة شؤون البلاد اصطنع اناسا لينوبوا عنه ومن هذا نشأت السياسة الداخلية . ونشأ السياسى . وهو وطنى القيت اليه مقاليد الشؤون العامة . ولذلك امتدت السياسة الى كل شىء وكل مكان وليس شأن السياسى شأن الناخب والمنتخب لان هذه حقوق تؤخذ أو تهمل اختيارا . اما هو فلا يستطيع التهاون في حقوقه . انه يعيش بها ولها .

وعلية يمكن تعريف السياسى بأنه من يشتغل بالسياسة طبقا لأوامر قرارات البرلمان وهي شغله الشاغل

ودائرة السياسى اليوم، البرلمان والوزارة. وقد يتوهم البعض ان الروح السياسية وراثية ولكنها على التحقيق شهوة نفسية او هى كما يقولون شىء فى الدم . فالسياسة هى شهوة الحكم تتقدمها الصناعة والادارة . يحس صاحبها انها لازم حياته لا يبالى بما يعترضه فى سبيلها من صعاب وآلام . وقد قال بعضهم انها كالخطية «وضع جى وبغضى» ولن ترى أشد من السياسة هوى أعلق بنفس صاحبه

وقد يعلقها الشاب وهو طالب ثم يبدأ المران عليها فى مجالس الاقاليم والباديات فاذا كان يقظاً لاديف المعشر صادق الخدمة ذاعت شهرته وكثر أصحابه ومهد لنفسه الطريق الى البرلمان ، يتعرف الى أصحاب الامر من حاكم ومدير ومهندس ومراقب ويحتمل لقضاء حاجات ناخبيه

وأكثر ما يتوفر النجاح فى الانتخابات النيابية هو للمحاميين والاطباء لاتصالهم بالجمهور، هذا عن طريق الطب وما يسدى من المعروف والرحمة بالمرضى، وذاك بما يؤدى من الخدم لزيائنه. ومن هؤلاء تتكون عصبة الناخبين . على أن أبواب السياسة مفتوحة للجميع من كل صناعة وطبقة . من المحقق أن الشر قديم وأن هناك أناس لا يستحقون شيئاً من الاحترام يحتالون لنيل تلك المناصب السامية يتخذونها مغنماً لمطامعهم الذاتية ولا يبالون بالمصلحة العامة ولكنهم لا يلبثون أن يفتضح أمرهم ، والخطأ فى ذلك واقع على من يجبن أمام معترك الانتخابات من الاكفاء . يحجمون وبذلك يتركز المجال فسيحاً لغيرهم ، قالوا جب على من يغار على المصلحة العامة أن يتقدم فى شجاعة الى المعركة وأن يعلم أن لاسبيل لبلوغ أمنيته بلا تعرض لصدمات القتال .

فى البرلمان

قد يحدث غالباً بعد الحوادث الكبرى أن يقتحم المجلس كثير من الشباب الناهض القوى الصادق العزيمة فيكتسح كثيراً من مقاعد الشيوخ الخنثيين وهناك تصطدم حدة الشباب بخبرة الشيوخ فلا يسعد حال الخناس بل يتعطل

عمله . الى أن يكتسب حديثو العهد بالأعمال السياسية شيئاً من الخبرة تعلمهم أسرار العمل النافع وتكسر من حدتهم وتقربهم الى الحقائق العملية . وقد يرجع الفضل في ذلك لمن يضمهم المجلس من الخبراء والمختصين الذين هذبهم الايام وعلمتهم التجارب وشرماتبلى به المجالس السياسية أن تنقسم على نفسها فلا يكون التنازع بين أعضائها تنافساً للاخذ بالاحسن بل يكون صراعاً يراد منه التناحر والفناء

العمل

بعد أن يجتاز النائب عقبات الانتخاب ومعاركه لا تسئل عن سروره عند اجتياز عتبة المجلس حيث أصبح نائباً وأصبح من رجل السياسة ، حيث يشعر بتبنيات اخوانه ونظرات بعض حساده . بعدها تبدأ مسألة اللجان التي يعرف منها مقدار منزلته ويتعرف تفاصيل ذلك النظام الداخلي ويحس أثر الاحزاب عليه ويشعر بواجبه نحو حزبه وما تقتضيه اللجنة التي انتخب فيها ويحس واجبه نحو المصلحة العامة ومقدار المسؤولية الملقاة على عاتقه ، وكيف ينظر الى المقترحات سواء من جانب الحكومة أو من جانب اللجان والنواب . مشاق لا بد له من أن يتمرس بها فلا يفوته أن جمهور الامة سيحكم عليه بما يقول وما يلقي قوله من التوفيق أو الخذلان ولا يهم الجمهور شيء مما يدور بين جدران اللجان وما يعانیه من أحكام الاحزاب ولا مقدار ما بذل من جهد إذا لم يكن نصيبه التوفيق . لذلك كان أول ما يتطلع اليه النائب الجديد هو المنبر .

المنبر النيابي

إن تاريخ الامة النيابية هو تاريخ منبرها النيابي في كثير من الاحايين . ان المنبر هو الهيكل المقدس الذي يجب ألا يتقدم اليه الانسان الا وهو بين التيب والايمان . ذلك أن الخطبة هنا عمل لا كلام فقط ، عمل له مسؤوليته وخطورته قد أقدم عليه انسان بلا هيبة ولا تأثير ولا ايمان لا يستطيع تحقيق غرضه . ان مثل الخطيب عند اعتلائه المنبر كمثل من ينزل الى البحر لا بد من أن يسبح ولا يدمن أن يصل الى الشاطئ . سواء بدأ عمله بين التصفيق أو الصفيق ، ولا بأس عليه أن

يوفق أو لا يوفق المهم في ذلك أن يكون صادق اليقين لا يكذب على سامعيه ولا على نفسه

من الخطباء من يقرأ خطبته مكتوبة ومنهم من يتساوها محفوظة ومنهم من يرتجلها ... على أن القراءة أكثر ما تكون ملة للسامعين لاسيما إذا رأوا أوراقها عديدة . غير أن بعض القارئ من الخطباء يحسن الأداء إلى درجة لا يشعر بها الحضور بسامة . كذلك الحال فيمن يتلو خطبته المحفوظة إذا لم تكن ذاكرة واعية وجأش ثابت فقد يضطرب عليه القول لاية حركة أو اعتراض يبدو من جانب السامعين ، ومن هؤلاء أيضاً من لا تؤثر فيه المعارضة فيستمرون فيما رسموا لأنفسهم مطمئنين . أما الارتجال فأقل ما يقال فيهم أنه مخاطرة قد تعرض صاحبها للسخرية ولكن القاعدة في ذلك عند قول الخطباء ألا يرتجلوا القول في أمر إذا لم تكن لهم به معرفة سابقة ودرس عميق كأن اطلعوا على دقائقه وتعرفوا جميع نواحيه وكونوا لهم فيه رأياً خاصاً اعتقدوه الصحيح ، في هذه الحالة فقط يصح الارتجال . وأما إذا كان الارتجال لمجرد الرغبة في الكلام فكثيراً ما يضيع على صاحبه قدره وإن كان عظيماً .

وسواء أكانت الخطابة كتابة أم حفظاً أو ارتجالاً فلا بد من أن يراعى فيها الشرائط الآتية .

- أولاً — لا تكثر من الاستشهادات ولا تعتمر عنها .
- ثانياً — لا تكرر التأكيد بأنك صادق مخلص فيما تقول .
- ثالثاً — لا تقل لا أريد أن أكون وزيراً .
- رابعاً — لا تنقطع إلا عند ضرورة وبمحكمة
- خامساً — لا تصغ للاعتراضات ولا تجاوب عليها إلا إذا رأيت فيها ما يفيد غرضك .

سادساً — لا تعل صوتك لتسكت الحضور . انتظر .

لا يكون الاستشهاد نافعا إلا إذا كان ضروريا وقد دل الاختبار أن المجلس عليه لاسيما إذا كانت القراءة غير جلية أو كان الاستشهاد طويلاً . ذلك لأن المجلس

يصنى الى المتكلم الذى يحمل مسؤولية ما يعرضه. واذا لم يكن بد من ذلك ، فعلى الخطيب أن يفصل بينها بشيء من الشرح يذهب عن السامع . الله . كذلك الحال في تلاوة الارقام ومن الملاحظ أن الاعتذار عن تلاوة شاهد لازم ، لا يخلو من ضرر .

كذلك الصدق والامانة فانهما لازمين في المجلس لزومهما في كل أمر على أن لا يلج الخطيب في تكرار الشهادة لنفسه بها فقد يكون ذلك مدعاة للريب . وما الفائدة من أن يقول النائب الخطيب أنه لا يريد أن يكون وزيراً وهو حق من حقوقه . قد يتهم الوزير نائباً بازغابة في أن يحل محله ولكن ذلك لا يدفع الحق . انما يجب أن يكون النقد خالصاً للمنفعة العامة . فالامارضة مشروعة في جميع المجالس النيابية .

ولا تكون المقاطعة الا اذا اقتضاها الحال لاصلاح خطأ أو ازالة سوء تفاهم . على أنها كثيرة الحدوث بين مقاعد الحكومة والخطيب وقد تغنى عن خطاب على أنها يجب أن تكون مقرونة بالحكمة متى كانت بين نائب ووزير أو بين نائب ونائب ومن لم يقاطع كان من حقه ألا يقاطع . وقد يعرض المقاطع نفسه للسخرية وليس أدعى للحزن والاسف من أن يجعل النائب نفسه أضحوكة .

وقد لا تكون مندوحة عن الاجابة على مقاطعه وقد تكون الاجابة جادة صائبة يخرج منها الخطيب أقوى برهانا وأملك لنفوس سامعيه . كما انه في بعض الاسئلة مالا يجد الخطيب معه جواباً خلفته أو شدته تخير له ألا يصغى اليه ويمضى في حديثه لا يظن الخطيب أنه بأعلاء صوته يسكت أصوات . امارضيه . ان الضوضاء لا تسكن انما يخشى ان يفقد الخطيب صوته فالواجب فعله في هذه الحال ان ينتظر حتى تمر العاصفة

هذه خلاصة اختبارات سياتى عرك الحياة النيابية جعلها نصب عينيه نفسه بالمرآة خليها

هذا ولا بد من مراعاة قواعد اللغة واصولها في الكلام وإن كان الكثيرون

من النواب لا يميلون لذلك ولا يفتقرون الاساليب العالية في الخطابة فقد ادت مراعاة هؤلاء الى شىء من الانحطاط في العبارة والاسلوب الا ان الحسن بل الواجب الا يغفل شأن اللغة في اكبر مجالسها

الوزارة ورئيس المجلس

ان الصراع النيابي جهاد غايته الوصول الى الحكم. هذه طبيعة الانسان، لم تغيرها النظمات. ففي دست الحكومة يتمكن الانسان من اجراء ما يريد من الاصلاح وسن القوانين لذلك ترى النواب في حل من اتخاذ كل وسيلة اليها يمهدون لانفسهم السبل اليها سواء بالحيلة او الوساطة او الاصدقاء، لذلك تجد الكثيرين ممن لم تدع لهم شهرة برلمانية أو اعمال معروفة قد باغوا دست الوزارة ولا تسئل عن حالة المستوزرين عند تأليف وزارة جديدة. وكيف يتسابقون الى استرضاء الرئيس فقد تزدحم الطلبات عليه الى ما يفوق اضعاف اضعاف العدد المطلوب كل يتوقع قبولا وكل ينتظر دقة التلفون. وكل يرقب عربة الرئيس أو احد رجاله وكم يكون أسف من يفوتهم الحظ شديداً، وكم يكون فرح الموقنين شديداً. وكم يلزم هذه الحركات من مدارات وتمنيات وانتقادات وتمسك أحزاب وتسامح طلاب. الى غير ذلك

وأخيراً متى تشكلت الوزارة كان أول همها وضع البرنامج الوزاري. على أنه من أحكام العرف لا من الصروريات اللازمة. ان تأليف كل وزارة برنامج خاص فلاولى انتظار الاسئلة التي تستجلى بها الحال لا أن يقدم برنامج تصطنعه الحكمة والابهام. على ان خيره اقصره. وقد يقوم باعداده الرئيس وحده وقد يشترك فيه وقد يشترك فيه جميع الوزراء حيث يعتمد كل وزير الى الاقضية في شئون وزارته. غير أن الوحدة في وضعه خير من الشركة. وقد جرى العرف أن يتلو التصريح بالبرنامج الوزاري استجواب يتبعه اعلان الثقة لتوطيد قدم الوزارة. فقد يكون الوزراء موفقين في الاجابات فتستقر بهم مرا كزهم كما يمكن أن يكون العكس. أما تمسك الوزراء وبعض وكلائهم بلقب «معالي الوزراء» فقد اصبح امراً مألوفاً

في مجلس الوزراء

وفي مجلس الوزراء تنافس الاعمال كبيرها وصغيرها وتقرر مواقف الوزراء امام البرلمان عند المناقشة . كل يجري على سجيته من لين أو شدة أو احتياح أو تقرب . ان الحكم تجربة خطيرة ترى داخل دائرته الصعاب ونتائجها على غير ما ترى في الخارج والنقد أيسر من العمل . لا توجد قواعد عامة ولا ضوابط أكيد للحكم . الامر في ذلك للزمن والظروف . فهمة من يتولى الحكم هي في الغالب اختيار أهون الضررين متى عرض أمر ذاهب مصاعبه الخفية التي تكون الوزارة قد احتاطت لها من قبل وحسبت لها حسابها وممها تكن المعارضة فليس من شأنها أن تغير ما استقر عليها رأى الوزارة فغاية الوزير ألا تميل به المعارضة حيث تميل ، بل يقف لما اعتقد فيه المصلحة وقفة الثبات والعزم . وما أسعد البلاد التي تجد في ظروفها المصيبة مثل هؤلاء الوزراء .

فلو حدث مثلاً أن دولة موالية باتت في خطر يهدد كيانها وان العدو الذي يهاجمها قد يبعد في مطامعه فيقابل الوزير بين خطر التدخل وخطر الامتناع وإذا قرر هذا أو ذاك كانت مسؤوليته جسيمة — إذا جاء حكمه خاطئاً صبت على رأسه لعنات التاريخ — وإذا جاء حكمه صائباً وانتهى التدخل مثلاً بانقاذ الدولة الصديقة وانقاذ المدينة، فقد أصبح من رجال التاريخ العظام وذاع صيته بين جميع الشعوب وعرف له الجميع فضله

قد يكون الوزير الوطني إبان الحروب واطارها صلب العود شديد المعارضة يعمل للنصر ويكفل النصر جهوده ولكنه قد يكون عند السلم غير بصير بفوائد بلاده العملية أو غير عليم بنفسية خصمه ينخدع لمكره فيعقد معه عهداً لا خير فيه وقد يكون عثرة لمن يلى الحكم بعده . على أن السياسي المحنك لا يعدم وسيلة لاصلاح الخطأ سواء بان يأخذ خصم البلاد بالثدة أو يضيع عليه ما اراده من خداع لا يعرف السياسي إلا عند العمل . حيث تكون كلماته قوة عاملة للمصلحة العامة . وهناك فرق بين الدعي أو الدساس وبين السياسي . كالفرق بين السياسة وبين الدبسية . يعيش الدساس في ظل السياسة يستغلها لمصلحته ولا يرى خيرها إلا فيما

نجر عليه من كسب • هذا دأبه • وان كان من الخطأ البين في عرف السياسة • قد يتخذ
السياسي • أما الدساس فدأبه ان يمدح سواه • للسياسي اغراض وخطط ونظرات
بعيدة • أما الدساس فليس له سوى وسائل • ذلك يستمد حياته وعمله من السياسة
وهذا من الدسياسة • واذا كان بينهما من شبه فهو ان كلاهما مطبوع على المضي في طريق
لا يصلح لسواها • وهذا لا يجيز لنا الخلط بينهما • لا بأس من ان يكون السياسي ماهرا
وما كرا • ان المهارة والمكر من الصفات اللازمة للسياسي ولكن المهارة ليست هي
الدسياسة • ولا المكر هو الخبث والرياء •

على أنه من الأسف ان لا بد للسياسي من اولئك الدساسين يعمل هو في دائرة
الواجب • ويدفع بهم في المغامرات • فلا بد للوزراء من اللئام مهما حسنت نيات
اولئك • فقد تعرض ظروف تجعل الحاجة اليهم ضرورية • ان الشرف والفضيلة
والضمير صفات محترمة واكتسابها قد تكون عديمة الفائدة • وقد قال «بوسيد» ان
الفضيلة لا تصلح للاعمال • لا بد من الملاينة لا كتساب رضى الجمهور • ليس الغرض
من هذا تحبيذ اللؤم انما تقصد الى القول بان السياسة كلها ليست من صنع الفضلاء
وحدهم • لا بد من استخدام جماعة الدساسين بحذر وحكمة لا عطاء الامور سيرها
المقصود • وقد عيب على بعضهم استخدام هذه الوسائل المعيبة فقال ليس للحكومة
• مهما شرفت ان تستغنى عنها • لا يمكن ادارة حكومة الناس بالفضائل وحدها •
من الطامام مالا يطيب بلا توابل (بهار)

يعيبون على السياسي تبديل آرائه • يعدون ذلك عليه سيئة لا تغتفر
والحقيقة ان تطورات الظروف وتقدم السياسي في اختبارات الحياة لا بد من ان يكشف
له اليوم عما لم يره بالأمس • يصح هذا في السياسة الداخلية كما يصح في السياسة
الخارجية • يضاف الى ذلك ان المعارضة تنتقد • اما الحكومة فتشأنها العمل •

قال • يراى ان رفعة الانسان ازمة تشفى مابه من امراض وتجتلب عليه سواها
وليس الغرض امتداح التقلب والتغير انما الغرض تقرير حقيقة طبائع الاحوال
وطبائع الناس • قال هيجوانك لا تمدح انسانا إذا قلت له انه لم يغير رأيه مدى
اربعين سنة • لان ذلك معناه انه لم يستفد شيئا من اختبارات الايام وانه لم يمتحن

امكانها ولم يستطع أن يلائم بينها وبين الوقائع . فكأنك قدح ماءً اسناً أو شجرة ميتة، أو كأنك تفضل المحار على النسر . ان الآراء بطبيعتها قابلة للتغير ولا شيء في السياسة مطلق ثابت . . . وهل يصح في نظر العقلاء ان تتبدل الوقائع والظروف ولا يتبدل معها نظرنا اليها . ولم سياسي كان نجاحه في اصلاح خطئه هل يجب ان يكون السياسي متزوجاً؟ هذه مسألة لها خطرها فقد تكون زوجة الوزير مشاطرة له آراءه وقد تكون على رأي آخر . وقد تميل الى حزب زوجها كما يمكن ان تكون حليفة مع سواه . وقد تكون شديدة التحمس لزوجها في سياسته أو محبة للظهور وقد تكون على العكس من ذلك وقد تكون من اللواتي لا يهتمن سوى اعمالهن البيتية عدا انها قد تكون عرضة لمظان السوء كذباً أو حقاً . وقد يؤثر هذا في زوجها فالمسألة من الوجهة الحيوية خاضعة لما يماثلها شأن الوزير فيها شأن سواه . على ان الزواج من المسائل الطبيعية والسعيد . من السعد التوفيق . وهناك تهمة اخرى تلتصق بالسياسي وهي الخساسة او التسفل . وهذه ليست من العيوب التي يتفرد بها السياسي فقد يجرم الامام الديني ويختلس المال ويخون المحامي او الطبيب ولكن ليس معنى هذا ان رجل الدين والمالية والمحاماة والطب كلهم فاسق ذئب . لا تخلو بلد ولا صناعة من الذين تنحدر بهم طبائعهم الى اسفل الدراكات . وكفى الوزير نفراً ان يخرج من وزارته اقل ثروة من يوم دخولها خارج البرلمان — ليس عمل سياسي محصوراً في البرلمان وحده . فقد يكون حاكماً اقليمياً (مديراً) حاذقاً يحسن سياسة اقليمه ينهض فيه العلم والعمل ويدير شؤنه الاقتصادية ومجاليه البلدية على ما فيه السعادة والتقدم . كما يمكن أن يكون رسولا صالحاً بين وطنه ودولة أخرى يقرب بينهما ويصل بين مصالحهما بما يفض من مشاكل ويوثق من روابط . كما يمكن أن يكون مفوضاً حكماً يحسن القيام بما يهد اليه من مهام . فالسياسي الحكيم الصادق أداة خير لبلاده ومورد حياة لسعادة وطنه .

السياسي والامل — على أن أهم ما يمتاز به السياسي الخبير هو انه لا يعرف لليأس معنى ولا لا خلاصه حد ولا لخدمته نهاية حتى النفس الاخير . والسياسي رغم كل عقبة وخيبة يؤمل . ويؤمل . ويؤمل .